من التراث اللغوي

التركيب

مدى عناية اللغويين العرب بدراسته

الدكتور محمد عبد السلام شرف الدين

كثيرا ما اخذت آراء العرب اللغوية من كتب النحو التعليمية التى الفت فى عصور الضعف الفكرى للحضارة العربية الاسلامية لغرض تعليمى بحت ، غايته الاعتناء بالمسائل الاعرابية المتعددة وما يتصل بها من عامل ومعمول وعمل لفظى او مقدر الخ .

وهذه الطريقة فى التعرف على الفكر اللغوى العربى قاصرة ظالمة . اما انها قاصرة فلانها تترك جزءا جما من التراث اللغوى العربى الف فى عصر الازدهار الحضارى للعرب . واما انها ظالمة فلانها ترمى هذا الفكر بالجفاف والفقر بناء على ما تمد به هذه المؤلفات الضعيفة من آراء ونظرات .

وكى تعرف وجهة النظر العربية اللغوية حق المعرفة على الباحثين الرجوع الى ما اسميه كتب التراث اللغوى واعنى بها تلك الكتب التى الفت فى عصر الاشراق الفكرى حين اتصل العقل العربى بغيره من العقول فقدم نتاجا حضاريا يمثل فى تاريخ الفكر العالمى العام وصلة بين الفكر القديم والحديث .

ان مثل هذه الكتب — ان احسنت قراءتها — تمد الباحثين بكثير من الآراء اللغوية التى تجد لها مكانا رحبا فى الفكر اللغوى المعاصر بحيث يكون فى احيائها رد اعتبار للفكر العربى ، ذلك الفكر الذى ضرب فى ظهر الزمن ومع ذلك فانه قد بشر فى نظراته وآرائه المتفرقة هنا او هناك ببعض ما ينادى به اللغويون المحدثون .

ولعل من هذه النظرات المشرقة ما يجده الباحثون مبثوثا فى كتب اللغة والبلاغة من حديث عن عناية اللغويين والبلاغيين العرب بالتركيب اللغوى ذى العلاقات والعلامات .

جاء فى « الخصائص » : « حال الوصل اعلى رتبة من حال الوقف ، وذلك أن الكلام انما وضع

للفائدة » والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ، وانما تجنى من الجمل ومدارج القول » (1) ·

فالكلام ــ اذن ــ لا يتصور ولا يوقف على حقيقته الا بدخول العناصر اللغوية المفردة اى الكلمات فى تراكيب أو جمل ·

واللغة العربية لغة اعراب · وكثيرا ما ربط اللغويون العرب بين ظاهرة الاعراب وتركيب الكلمات فى جمل ، فالاسم لا يستحق الاعراب الا اذا ركب مع غيره ·

يقول ابن يعيش « الاسم اذا كان وحده مفردا من غير ضميمة اليه لم يستحق الاعراب لان الاعراب انما يؤتى به للفرق بين المعانى ، فاذا كان وحده كان كصوت تصوت به ، فان ركبته مع غيره تركيبا تحصل به الفائدة نحو قولك : زيد منطلق ، وقام بكر ، فحينئذ يستحق الاعراب لاخبارك عنه . » (2)

ويقول فى موضع آخر ــ رابطا بين حركة الاعراب ووظائف الكلمات فى التركيب : « وكل واحد من الرفع والنصب والجر علم على معنى من معانى الاسم التى هى الفاعلية والمفعولية والاضافة . (3)

و « ابن يعيش » فى النص السابق يربط ــ كما هو واضح ــ بين الحالة الاعرابية التى هى أمر اعتبارى ذهنى والمواقع الاعرابية المختلفة للكلمات ، فالاسم اذا كان مرفوعا قد يكون فاعلا ·· واذا كان منصوبا يكون مفعولا وهكذا ·

وتكملة لكل أطراف الظاهرة اقول : ان لكل حالة اعرابية علامة اعرابية ويلاحظ ان العلامات الاعرابية تتعدد كما ان من شأنها أن يلفظ بها فهى أمر لفظى وذلك على العكس من الحالة الاعرابية التى هى أمر ذهنى ــ كما سبق ــ ·

ومصطلح « المعانى » الذى اشار اليه ابن يعيش يراد به « المعانى التركيبية » التى تفهم من موقع الكلمات فى التركيب أو من الوظيفة التى تؤديها. ومعنى كونها « معانى تركيبية » انها لا تكون للصيغة اللغوية الا اذا ركبت · فالكلمة الواحدة المفردة لا توصف بالمعنى التركيبى · وهذا ما قاله الشيخ « بهاء الدين بن النحاس » من أن الاعراب « دخل الاسماء لطريان المعانى عليها عند التركيب . (4)

ويرتبط بالحالة الاعرابية التعرف على موقع الكلمة فى التركيب وهو الامر الذى كاد يأخذ معنى دينيا ، لانه مرد فهم تراكيب القرآن الكريم ·

أخرج « أبو عبيد » فى فضائله عن « يحيى

---

(1) الخصائص ج 2 / 331
(2) شرح المفصل ج 1 / 49 ، انظر ايضا / 52 ، 57 ، 72 ، 73
(3) شرح المفصل ج 1 / 73 انظر ايضا 75 ، 84 ،
وجدت فى العصر الحديث تفسيرات كثيرة لما سماه القدماء « حركات الاعراب » آخر هذه التفسيرات ما جاء فى البحث الذى القاه الاستاذ الدكتور ابراهيم انيس فى الجلسة الثامنة « لمؤتمر مجمع اللغة العربية » فى دورته العشرين ، والذى نشر فى الجزء العاشر من مجلة مجمع اللغة العربية بعنوان « رأى فى الاعراب بالحركات » وفيه يقول « ان حركات أواخر الكلمات لم تكن تفيد تلك المعانى التى يشير اليها النحاة من الفاعلية والمفعولية ونحو ذلك وانما هى حركات دعا اليها نظام المقاطع وتواليها فى الكلام المتصل ،،، » انظر ج 10 / 56 · (اللسان العربى : ــ يراجع بحث للاستاذ عبد الحق فاضل فى عدد سابق عن أصل حركات الاعراب وعنوانه « اسرار الضمائر » ·
وانظر ايضا احياء النحو ــ للمرحوم ابراهيم مصطفى
ج 10 / 51 ــ 54 بحث القاه المرحوم ابراهيم مصطفى بعنوان « مذاهب الاعراب »
ج 10 / 57 ــ 58 خطوات فى الاحتفاظ بعبقرية النحو العربى للاستاذ / ل · ماسينيون عضو المجمع
ج 10 / نشأة الخلاف فى النحو للاستاذ / مصطفى السقا .
(4) الاشباه والنظائر ج 2 / 155 ، 156 ، انظر ايضا ج 2 / 25 تعليله لكون البناء أصلا فى الافعال·

بن عتيق » قال : قلت للحسن يا أبا سعيد : الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته · قال : حسن يا ابن أخي ، فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها ، وعلى الناظر فى كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر فى الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبرا او فاعلا أو مفعولا او فى مبادىء الكلام أو فى جواب الى غير ذلك (5) ·

وقديما ادعى « متى بن يونس » فى محاورة مع أبى سعيد السيرافى « أن معرفة الاسم والفعل والحرف كافية لمعرفة اللغة العربية » فقال أبو سعيد « اخطأت لانك فى هذا الاسم والفعل والحرف فقير الى رصفها وبنائها على الترتيب الواقع فى غرائز أهلها » (6) ·

وقد وافق اللغويون المحدثون « أبا سعيد » فى هذا المعنى ذاهبين الى أنه لا يتكلم عن وظيفة الحدث اللغوى الا اذا كان فى تركيب ، وان الاهتمام ينبغى ان يوجه الى تركيب الاسماء والافعال فى وحدات كبيرة (7) ·

وقول أبى سعيد بأن هناك « ترتيبا واقعا فى غرائز أهلها » يوافقه ما قاله المحدثون من ان شخصية اللغة تكمن فى تراكيبها ، وطرق رصف كلماتها فى جمل وهذا أمر قد يوصف بالثبات والرسوخ » وبعض الناس يعتقد أن اللغات تتغير ، ولكن التركيبات تبقى كما هى ، ومعظمهم يفرق بين التغيير النحوى والتغيير فى الكلمات (8) ·

وقد تزيد التركيبات النحوية بعد البلوغ ، ولكن بدرجة أبطأ كثيرا مما تزيد بها الكلمات ، وفى تعلم لغة ثانية فان أصعب ما يقابله المتعلم هو كيفية الوقوف على التركيبات النحوية » (9) ·

والكلمات الاخيرة من النص السابق هو ما قاله السيرافى فى القرن الثانى الهجرى ويمكن — وان كان هذا استطرادا — بناء على الحقيقة السابقة تطبيق هذه القضية فى تعليم اللغة : فينبغى أن تعلم اللغة — وخاصة للاجنبى — عن طريق تقديم النماذج التركيبية المختلفة لهذه اللغة ، لانه بهذا يرى كيف تسلك الكلمات فى التركيب فيعرف اللغة على انها سلوك تركيبى معين ·

والمصطلح المفضل لدى اللغويين العرب هو (التأليف) · ينقل « السيوطى » عن الامام « تقى الدين بن منصور بن فلاح » قوله فى « المغنى » مقارنا بين « التأليف » و « التركيب » : التأليف حقيقة فى الاجسام مجاز فى الحروف والفرق بين التأليف والتركيب انه لا بد فى التأليف من نسبة تحصل فائدة تامة مع التركيب (10) ·

يعلق « الاشمونى » على قول ابن مالك « الكلام وما يتألف منه » : — ولم يقل وما يتركب ، لان التأليف أخص ، اذ هو تركيب وزيادة ، وهى وقوع الالفة بين الجزأين (11) ·

ويقول « ابو سليمان » — ولعله ابو سليمان الخطابى — : « المعانى المعقولة بسيطة فى بحبوحة النفس لا يحوم عليها شىء قبل الفكر ، فاذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق القى ذلك الى العبارة والعبارة حينئذ تتركب بين وزن هو النظم للشعر وبين وزن هو سياقة الحديث وكل هذا راجع الى نسبة صحيحة

---

(5) الاتقان جـ 1 / 180
(6) أبوحيان : الامتاع والمؤانسة جـ 1 / 115
(7) What is Language PP. 32 — 33
(8) What is Language P. 20
(9) التطوير النحوى للغة العربية / 136 ، 137 . An Introduction to Discriptive Linguistics P. 7
(10) الاشباه والنظائر جـ 1 / 100
(11) شرح الاشمونى جـ 1 / 9

أو فاسدة وتاليف مقبول أو ممجوج (12) ·

ففى « التأليف » علاقة وارتباط ، وملاءمة ونسبة ــ وكلها الفاظ بمعنى ــ ·

وهكذا يظهر أن اللغويين العرب عرفوا أن من المعنى ما هو تركيبى اى يحدث للكلمات حال تركبها ومنه ما هو معجمى حاصل للمفردات اللغوية · وحديثهم فى هذا يسبق بزمن طويل حديث اللغويين الغربيين واكاد اذهب الى انه من المحتمل أن يكون الغربيون قد قراوا تراث العرب فى هذا الموضوع وتأثروا به ، فالفكرة ذات أصالة لدى اللغويين العرب ·

ومما يرجح اصالة الفكرة عند العرب أنه ــ ابتداء من القرن الثانى الهجرى ، التاسع الميلادى تقريبا ــ بدأ البلاغيون العرب يتحدثون عن الفصاحة والنظم ، وكان حديثهم هنا صادرا عن رايهم فى اعجاز القرآن وفى هذا قالوا : « ليست الفصاحة بعائدة الى الدلالات الوضعية للألفاظ المفردة ، بدليل أن العالم بلغة من اللغات لا يحتاج فى التلفظ بمفرداتها الى الروية والفكر ، ويحتاج فى التكلم بالكلام الفصيح بتلك اللغة الى الروية فالفصاحة غير متعلقة بالمفردات وانه لو كانت الفصاحة بسبب دلالات مفردات الكلم لبقيت الفصاحة كيفما تركبت تلك المفردات ولم يكن النظم والترتيب معتبرا اصلا · كما أن الكلمة قد تكون فصيحة فى موضع بعد أن كانت ركيكة فى غيره ؛ ولو كانت فصاحتها لذاتها ولدلالتها الوضعية لما اختلف ذلك باختلاف المواضع (13)

ويقول « ابن الأثير » واعلم ان تفاوت التفاضل يقع فى تركيب الالفاظ اكثر مما يقع فى مفرداتها ، لان التركيب أعسر واشق · الا ترى أن الفاظ القرآن الكريم ــ من حيث انفرادها ــ قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه ؟ وليس ذلك الا لفضيلة التركيب (14)

وللقاضى « عبد الجبار » المعتزلى فى ذلك كلام ينبه فيه على اهمية وظيفة المفردات المرتبطة بموقعها. يقول : « اعلم ان الفصاحة لا تظهر فى افراد الكلم وانما تظهر فى الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ·· وقد تكون هذه الصفة **بالاعراب** ·· وقد تكون **بالموقع** ·· ولابد من هذا الاعتبار فى كل كلمة ، ثم لابد من اعتبار مثله فى الكلمات اذا انضم بعضها الى بعض لانه قد يوجد لها عند الانضمام صفة ، وكذلك لكيفية اعرابها وحركاتها وموقعها (15)

ومصطلح « النظم » هو ما اختاره البلاغيون بديلا لمصطلحات: التأليف والتركيب والترتيب والترصيف الى آخره وهو ــ اى النظم ــ فى اللغة جمع اللؤلؤ فى السلك ، وفى الاصطلاح تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعانى متناسبة الدلالات (16)

يقول « الخطابى » : « وأما رسوم النظم فالحاجة الى الثقافة والحذق فيها اكثر ، لانها لجام الالفاظ وزمام المعانى ، وبه تنتظم اجزاء الكلام ، ويلتئم بعضه ببعضه فتقوم له صورة فى النفس يتشكل بها البيان (17) ·

ويربط « الزملكانى » بين النظم ومراعاة احكام النحو . يقول : « يرجع الاعجاز الى توخى معانى النحو واحكامه فى النظم بأن يوقع كل فن فى رتبته العليا فى اللفظ والمعنى الافرادى والتركيبى (18)

---

(12) الامتاع والمؤانسة جـ 2 / 138 ، 139
(13) نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز / 12 ــ 14
(14) المثل السائر جـ 1 / 213
(15) المغنى جـ 16 / 214
(16) التعريفات / 164 انظر ايضا البلغة فى اصول اللغة / 180 ؛ 181 ، البلاغة تطور وتاريخ /160
(17) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن / 33
(18) التبيان فى علم البيان / 195

ولا أحتاج الى التنبيه على أن فكرة النظم وصلتها باعجاز القرآن كانت حديث البلاغيين العرب ابتداء « بالجاحظ » وانتهاءا « بعبد القاهر الجرجانى » الذى وضع فى النظم نظرية نسبت اليه وان كان قد تأثر فيها بمن سبقه (19)

وكى ادل على أن البلاغيين واللغويين العرب سبقوا المحدثين الى الحديث عن النحو الوظيفى والمعنى التركيبى ؛ اسوق نصين احدهما عربى والآخر غربى والشبه بين النصين واضح قوى ·

قال القاضى (عبد الجبار) : « ان الكلام الفصيح مراتب ونهايات وان جملة الكلمات وان كانت محصورة فتأليفها يقع على طرائق مختلفة من الوجوه (20)

ومعنى النص واضح قريب ، فكلمة مثل « كتاب » قد تكون فاعلا ، أو مفعولا ، أو مبتدا ، أو مضافا فالكلمة واحدة وطرائق تأليفها متعددة وبالتالى فوظيفتها فاعلا غير وظيفتها مفعولا .. وهكذا·

ويقول صاحب احدث كتاب فى علم اللغة التركيبى او النحو الوظيفى : « سببت النظرة الوظيفية للنحو ثورة جذرية فى التحليل اللغوى ، فانه اذا ما كانت الوظيفة أمرا رئيسيا ، فان تحليل اى تركيب من شأنه أن ينتج بثراء كلما كانت الوظائف المختلفة محددة فى التركيب وهذا ينتج عن تقسيم خيط التركيب الى أجزاء وظيفية كثيرة » (21)

ومما يدل ايضا على أن الحديث فى النحو التركيبى ينبغى أن ينسب الى الفكر العربى ان اللغويين العرب ملأوا مؤلفاتهم بتعريفات صادرة عن هذا الاتجاه ·

قالوا مثلا فى تعريف الكلام : « الكلام ما كان من الحروف دالا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه» (22) أو هو « ما تضمن كلمتين بالاسناد» (23).

ويقول ابو سعيد السيرافى : « الكلام اسم واقع على اشياء قد ائتلفت بمراتب مثال ذلك ان تقول : هذا ثوب والثوب اسم يقع على اشياء بها صار ثوبا ، لأنه نسج بعد ان غزل ، فسداته لاتكفى دون لحمته ولحمته لا تكفى دون سداته ثم تأليفه كنسجه (24) ·

وتشبيه الكلام بالثوب تشبيه ظريف فالكلمات المؤلف منها الكلام تشبه الخيوط التى منها نسج الثوب · واستكمالا لكل اطراف الصورة التشبيهية فان الحروف تقابل المادة التى يصنع منها الثوب ان كانت صوفا او قطنا الى آخره ·

بعبارة اخرى يعد تكوين الكلمات من الحروف عملية « غزل » تشبه تكوين الخيوط من الشعر ، وتركيب الكلمات وتأليفها لتنتج كلاما يشبه عملية « النسج » التى هى تكوين القماش من « الخيوط » ·

وما قاله « ابو سعيد » وجد فى كتابات اللغويين الاوربيين ، فمن قولهم « الانسان ينسج جملا » (25) ومن قولهم كذلك : « ان معنى خيط الكلمات ليس فيها فى حد ذاتها ولكن فى تركيبها فى جمل » (26) .

---

(19) أسرار البلاغة / 4 ، 338 ، 339 ، 388 ، 389 ؛ اعجاز القرآن للباقلانى / 140 ــ 148 ، 149 ، 153 ، 204 ، 205 ؛ أسرار العربية / 30 ، 34 ، 35
(20) المغنى جـ 16 / 214
(21) Introduction to Tagmemic Analysis P./8
(22) أسرار العربية / 2 شرح الأشمونى جـ 1 / 28 ابن عقيل / 3
(23) الكافية / 2
(24) الامتاع والمؤانسة جـ 1 / 121
(25) Thought and Language P. 143
(26) Automated Language Processing PP. 6-7

فاللغويون المعاصرون وافقوا أبا سعيد فى اعطاء التركيب مصطلح « النسج » واعطاء الكلمات المفردة لفظة « خيوط » وكان التشابه بين المحدثين واللغويين العرب القدامى حدث حتى فى الالفاظ ·

على أن المحدثين واصلوا سيرهم حتى عمقوا الفكرة ووضعوا لها نظريات مختلفة أخذت بدورها زمنا طويلا حتى انتهت الى ما قدموه من مستويات التحليل اللغوية المختلفة التى يتنوع شرح العلماء لها ويتفاوت تبعا لاختلاف أسس النظرية الفكرية ·

ومن تعريفات اللغويين العرب التى قدموها فى ضوء فهمهم لعلم اللغة التركيبى تعريفهم للنحو بانه « انتهاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتركيب (27) و معانى النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير » (28)

قال صاحب « المستوفى » — كما ينقل عنه « السيوطى » : « النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها فى الفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى فيتوصل باحداهما الى الاخرى » (29)

كما أن بعض اجزاء الكلام عرف فى ضوء من علم التركيب الذى تجلى اهتمام العرب به كما سبق ، جاء فى أسرار العربية : « لم سمي الذى والتى ·· اسماء الصلات ؟ قيل لانها تفتقر الى صلات توضحها وتبينها ، لانها لم تفهم معانيها بانفسها ، الا ترى انك لو ذكرتها من غير صلة لم تفهم معناها حتى تضم الى شىء بعدها » (30)

وعن هذه النزعة صدر تعريفهم للاسم ، فقد ذكروا للاسم علامات كثيرة منها الوصف نحو زيد العاقل ، ومنها ان يكون فاعلا ، أو مفعولا ·· ومنها ان يكون مضافا اليه ·· ومنها أن يكون مخبرا عنه (31)

فهذا تعريف يأخذ فى اعتباره المواقع الاعرابية او المواقع الكلامية التى يقع فيها الاسم فيؤدى الوظيفة النحوية المعينة · حقيقة ساد التعريف المؤسس على المعنى فكر النحويين لكن هذا لا ينفى انهم كانوا أحيانا يتخذون « الوظيفة » اساسا لتعريفاتهم (32)

وهكذا بان بوضوح ان العناية بدراسة التركيب اللغوى ذى العلاقات والارتباطات هى بنت الفكر العربى اللغوى والبلاغى. وتمتلىء أمهات الكتب العربية بالمصطلحات الشارحة فهم البلاغيين واللغويين فى هذا المجال ·

من هذه المصطلحات مصطلح « التصرف » ينقل « السيوطى » عن « أبى حيان » فى شرح التسهيل : « التصرف فى الاسماء أن تستعمل بوجوه الاعراب فيكون مبتدأ ومفعولا ، ويضاف اليه ، ويقابله أن يقتصر فيه على بعض الاعراب كاقتصار « سبحان » على المصدرية ، و « عندك » على الظرفية ، ونحو ذلك (33) ·

فالاسم « المتصرف » هو ما ورد فى مواقع

---

(27) الخصائص ج 1 / 34
(28) الامتاع والمؤانسة ج 1 / 121
(29) الاقتراح / 6 انظر أيضا فصل الخطاب فى لغة الاعراب / 122 ، 123
(30) اسرار العربية / 149 ، 150
(31) اسرار العربية 5 ، 6 انظر ايضا الكافية / 2 ، الاقتراح / 71 ، شرح المفصل ج 1 / 25
(32) انظر مثلا حديثهم فى المشابهة بين الاسم والفعل المضارع : أسرار العربية / 13 ، 29 تعريفهم الفاعل ونائب الفاعل شرح المفصل ج 1 / 74 ، الانصاف ج 1 / 53 ، 54 ، أسرار العربية 35 ، 38 تعريفهم للفعل أسرار العربية / 6 ، 41 ، 44 ، 47 ، 52 ، مناهج البحث فى اللغة / 20
(33) الاشباه والنظائر ج 2 / 64 ، 77 ، 79

وظيفية متعددة ، اى كان غنيا فى معناه التركيبى وعكسه الاسم غير المتصرف او « المختص » وقد اعطى هذا المصطلح لبعض الظروف التى لا تفارق النصب على الظرفية ·

ان الفكر الغربى فى النحو الوظيفى يواجه بعض الصعوبات فى تحديد الوظائف النحوية اذ مازال بعض هذه الوظائف غامضا غير محدد · من ذلك مثلا وظيفة « الوصف » وقد وجه بهذا الصدد سؤال « ما هى انواع الوصف ؟ » (34) .

وهذه الحال من عدم الوضوح والغموض فى وظائف الكلمات وانواع الصيغ التى تعبر عن وظيفة ما لا توجد فى الفكر اللغوى العربى · والمثال السابق اعنى « انواع الوصف » كان مشروحا بجلاء فى امهات الكتب العربية ·

من هذا ما نقله « السيوطى » قال فى البسيط : « جملة ما يوصف به ثمانية اشياء : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة .. والرابع : المنسوب ، والخامس : الوصف بذى التى بمعنى صاحب ، السادس : الوصف بالمصدر .. وهو سماعى ، السابع : الوصف بالجملة ، الثامن : ما ورد من المسموع غيره نحو مررت برجل اى رجل » (35) ·

وهذا مثال واحد من امثلة المواقع الوظيفية فى النحو العربى ، وحديث النحويين عن انواع الخبر ، وانواع الحال ، وانواع الصلة ... وغيرها من المواقع لا يقل عن هذا تتبعا واستقصاء ·

وما قاله النحاة الغربيون يؤيد ما انتهى اليه العلماء العرب ، من ذلك ما قالوه من ان الـ« Slot » هو المركز او الموقع المعين فى التركيب ، والمواقع الوظيفية هى مواقع داخل اطار التركيب تحدد دور الصيغة اللغوية فى التركيب والتى لها علاقة بأجزاء اخرى من نفس التركيب · فالوظائف هى العلاقات النحوية ، وهى تجيب عن السؤال الذى يسأل عن عمل الصيغة فى التركيب ويمكن توزيعها او جدولتها على النحو التالى : مسند اليه ، مسند ، وصف واشباهها » (36) ·

وقوله : « مواقع داخل اطار التركيب » يجعلنا نرسم اطارا لكل تركيب ثم نقسم هذا الاطار على المواقع الوظيفية فيه · فمثلا : فهم الولد الدرس عبارة عن تركيب يمكن أن يحد بهذا الاطار :

فهم	الولد	الدرس

وفى داخل هذا الاطار توجد ثلاثة مواقع :

فهم	**الولد**	**الدرس**

وفى الجملة السابقة وامثالها يقول النحويون العرب المتأخرون ان : فهم الولد هو الجملة الاساسية ، وما زاد عليه يعد اضافة او « فضلة »

ومصطلح « الفضلة » هذا يشير الى ان جزء الجملة المعتبر « فضلة » يعد زيادة على اصل المعنى بحيث اذا حذف لا يضر هذا المعنى الاساسى·

وهذه وجهة نظر يبدو عليها التأثر بالمنطق الذى يكتفى من التركيب بتحقيق فاعل الفعل ضرورة ان كل فعل لابد له من فاعل . ووجهة النظر ، المصيبة التى تعبر عن الفكر العربى خير تعبير فيما يتصل بهذه الجملة وامثالها وجدت عند « عبد القاهر الجرجانى ».

يقول عن النحويين : « .. انهم قد اصلوا فى المفعول وكل ما زاد على جزئى الجملة انه يكون زيادة فى الفائدة ... وينبنى عليه ان ينقطع عن الجملة حتى يتصور ان يكون فائدة على حده ، وهو ما لا يعقل .... والحقيقة فى هذا ان الكلام يخرج بذكر المفعول الى معنى غير الذى كان ، وان وزان الفعل قد عدى الى مفعول معه ، وقد أطلق فلم يقصد به الى مفعول دون مفعول وزان الاسم المخصص

(34) Thinking about language P. 50

(35) الاشباه والنظائر جـ 2 / 97 ، 98 ؛ ثم انظر جـ 2 / 106 قوله : « ولا يوصف بالعلم »

(36) Introduction to Tagmemic Analysis P. 8

بالصفة مع الاسم المتروك على شياعه ، كقولك : جاءنى رجل ظريف مع قولك جاءنى رجل فى انك لست فى ذلك كمن يضم معنى الى معنى وفائدة الى فائدة ، ولكن كمن يريد ههنا شيئا وهناك شيئا آخر · فاذا قلت : ضربت زيدا كان المعنى غيره اذا قلت : ضربت ، ولم تزد زيدا ، وهكذا يكون الامر ابدا كلما زدت شيئا وجدت المعنى قد صار غير الذى كان » (37) ·

وكلام عبد القاهر يمكن وضعه على النحو التالى :

فهم الولد جاءنى رجل

فهم الولد الدرس جاءنى رجل ظريف

فالجملتان الأوليان اقتصر فيهما على الفعل والفاعل ، اما الجملتان الاخريان فقد زاد معهما التركيب قليلا او امتد مرة بذكر المفعول واخرى بذكر الصفة ، وهناك مواقع نحوية اخرى يتغير معها معنى التركيب بزيادتها فيه ، ولعل هذا مبرر لتناول المواقع النحوية غير « الفعل والفاعل » و « المبتدا والخبر » فى باب واحد يمكن ان نسميه « امتداد الجملة » ·

ومن الواضح ان اى موقع نحوى يمتد به التركيب يساعد المتكلم على الاقتراب اكثر واكثر نحو مستمعه · ومن الممكن الافتراض ان كلا من المتكلم والمستمع يقفان عند نقطتين متباعدتين ·

المتكلم ——— المستمع — بينهما مسافة ، واذا وضع المتكلم فى اعتباره ان المستمع يتساءل داخليا عن اشياء كثيرة ، كان كل عنصر كلامى يضيفه فى الموقع النحوى المعين يساعده على الاقتراب من مستمعه او الوصول اليه فتتحقق فائدة اللغة وهى ربط ما بين الناس Communication ولعل هذا ما قصده « ابن جنى » حين قال : « حال الوصل اعلى رتبة من حال الوقف ، لأن الفائدة تجنى من الجمل ومدارج القول » ·

ويتصل بعناية اللغويين العرب بدراسة التركيب والتعرف على علاقاته المختلفة المؤسسة على المواقع النحوية او الوظائف التى تؤديها الكلمات فى التركيب ما نجده من حديث عن ترتيب كلمات التركيب ·

يقول ابن جنى « عن الاعراب » : هو الابانة عن المعانى بالالفاظ الا ترى انك اذا سمعت اكرم سعيد اباه وشكر سعيدا ابوه ، علمت برفع احدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجا (38) واحدا لاستبهم احدهما من صاحبه فان قلت : فقد تقول ضرب يحيى بشرى ، فلا تجد هناك اعرابا فاصلا ، وكذلك نحوه قيل : اذا اتفق ما هذه سبيله ، مما يخفى فى اللفظ حالة الزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول مايقوم مقام بيان الاعراب ، فان كانت هناك دلالة اخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير نحو : اكل يحيى كمثرى ، لك ان تقدم وان تؤخر كيف شئت ، وكذلك : ضربت هذا هذه ، وضربت هذه هذا .(39)

فترتيب الكلمات فى الجملة العربية اما ان يكون :

1) ترتيبا حرا اى يجوز فيه تقديم وتأخير الكلمات المعبرة عن المواقع النحوية المختلفة · ويحدث هذا فى حال وجود او ظهور الحركة الاعرابية ، لانها هى العلامة التى تشير الى الموقع المعين تقدم عنصره الكلامى ام تأخر · اى ان الاعراب وسيلة تركيبية استعانت بها العربية على اضفاء صفة « الحرية » و « المرونة » على تراكيبها ·

وعند عدم ظهور الحركة الاعرابية الدالة على الموقع النحوى فانه يستعاض عنها بالقرينة المعنوية كما فى « اكل يحيى كمثرى » فيحى هنا فى موقع الفاعل سواء ذكر قبل كمثرى ام بعدها ، لأن المعنى يدل على كونه فاعلا ، وقد تكون القرينة لفظية كما فى ضربت هذه هذا ، فان الحاق تاء التأنيث بالفعل

---

(37) دلائل الاعجاز / 349

(38) هكذا فى الاصل وارى «شرجا» حقها أن تكون « شرعا » يقال : هما فى هذا الامر شرع واحد اى سواء · انظر لسان العرب ·

(39) الخصائص ج 1 / 35

ضرب قرينة نحوية تشير الى أن الفاعل مؤنث تقدم فى التركيب أم تأخر ·

2) ترتيبا مقيدا أى لا يجوز فيه تقديم وتأخير الكلمات المعبرة عن المواقع النحوية المختلفة · ويحدث هذا فى حال عدم ظهور الحركة الاعرابية المشيرة الى المواقع وعدم وجود القرينة اللفظيـــة أو المعنويـــة الدالة على موقع الكلمة فى التركيب · ففى جملة مثل : ضرب يحيى بشرى يلتزم الترتيب السابق ان اريد كون « يحيى » فاعلا و « بشرى » مفعـــولا ، فان أريد العكس كان الترتيب ضرب بشرى يحيى ·

وهكـــذا بـــان مـــن تتبـــع هـــذه الآراء المبثوثـــة هـــنـــا أو هنـــاك فـــى كتب اللغة والبلاغة عناية اللغويين والبلاغيين العرب بدراسة تركيب الجملة بصفته المجال للتعرف عـــلى وظائف الكلمات فى التراكيب ، تلك الوظائف المرتبطة بمواقعها النحوية وما تشير اليه من ترتيب حر أو مقيد ·

ودراسة التركيب من هذه الوجهة لا تقف عند حد العناية بظاهرة الاعراب : ماهيتها وعواملها فقط، وانما تنظر الى الاعراب على انه حيلة من الحيـــل التركيبية التى لجأت اليها اللغة العربية للتعرف على الوظائف النحوية التى تؤديها الكلمـــات فى مواقعها المختلفة فى التركيب ·

قائمـــة المصادر والمراجـــع

ابن الاثير ، ضياء الدين ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم 558 — 637 هـ

1 — المثل السائر ، القاهرة ، مكتبة النهضة 1959

ابن الانبارى ، كمال الدين ، ابو البركات عبد الرحمن بن محمد 513 — 577 هـ

2 — اسرار العربية ، ليدن ، بريل 1886

3 — الانصاف فى مسائل الخلاف ، ليدن ، بريل 1913

ابن جنى ، ابو الفتح عثمان بن جنى (—) — 392 هـ

4 — الخصائص — القاهرة ، دار الكتـــاب ، 1952 — 1956

ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد 694 — 769 هـ

5 — شرح ابن عقيل ، القاهرة مطبعـــة السعادة ، 1962

ابن هشام ، جمال الدين ، ابو محمد ، عبد اللـــه بن يوسف 708 — 761 هـ

6 — مغنى اللبيب ، القاهـــرة ، المطبعـــة الازهرية ، 1928

ابن يعيش ، ابو البقاء يعيش بن على بن يعيش بن محمد 556 — 643 هـ

7 — شرح المفصل ، القاهرة ، ادارة الطباعة المنيريـــة ....

ابو حيان ، على بن محمد بن على بن العبـــاس (—) — 400 هـ

8 — الامتاع والمؤانسة ، القاهرة ، لجنـــة التأليف والترجمة والنشـــر 39 — 44

ابراهيـــم انيـــس ،

9 — راى فى الاعراب بالحركات مجلة مجمع اللغة العربية جزء 10

ابراهيم مصطفى ،

10 — مذاهب الاعراب مجلة مجمع اللغـــة العربيـــة جزء 10

الاشمونى ، على بن محمد بن عيسى 838 — 900 هـ

11 — شرح الفية ابن مالك ، القاهرة ، مطبعة مصطفى الحلبى 1939

الباقلانى ، ابوبكر محمد بن الطيـــب القاســـم (—) — 338 هـ

12 — اعجاز القران ، القاهرة ، دار المعارف 1954

برجشتراسر

13 — التطور النحوى للغة العربية، القاهرة، مطبعة السماح 1929

تمـــام حســـان

14 — مناهج البحث فى اللغة ، القاهـــرة ، مكتبـــة الانجلو 1955

الجرجانى، عبد القاهر بن عبد الرحمن (—) — 474هـ

15 — اسرار البلاغة استانبول 1954

16 — دلائل الاعجاز ، القاهرة ، مطبعة المنار 1912

الجرجانى ، على بن محمد المعروف بالسيد الشريف 740 — 816 هـ

17 — التعريفـــات ، القاهـــرة ، المطبعـــة

الحميدية 1903

الخطابى ، حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستى ، ابو سليمان 319 — 388 هـ

18 — ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ، مصر، دار المعارف

الرازى ، فخر الدين ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين 544 — 606 هـ

19 — نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز ، مصر، مطبعة الاداب 1317 هـ

الزملكانى ، عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف (—) — 651 هـ

20 — التبيان فى علم البيان المطلع على اعجاز القرآن ، بغداد ، 1964

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر (—) — 911 هـ

21 — الاتقان فى علوم القرآن ، القاهرة ، المطبعة الازهرية ، 1900

22 — الاشباه والنظائر النحوية ، حيدر اباد، 1316 — 1317 هـ

23 — الاقتراح فى علم اصول النحو ، دلهى ، 1313 هـ

شوقى ضيف

24 — البلاغة تطور وتاريخ ، القاهرة ، دار المعارف ، 1965

ل . ما سينيون

25 — خطوات فى الاحتفاظ بعبقرية النحو العربى ، مجلة مجمع اللغة ج 10

محمد صديق حسن

26 — البلغة فى اصول اللغة، القسطنطينية، مطبعة الجوائب 1878

مصطفى السقا

27 — نشأة الخلاف فى النحو ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 10

ناصيف اليازجى

28 — فصل الخطاب فى لغة الاعراب ، بيروت 1884

Bollard, Philip Boswood ;

29 Thought and Language. London, 1934.

Borko, Harold ;

30 Automated Language Processing. N.Y.1967

Cook, S.J. Waltera A. ;

31 Introduction to Tagmemic Analysis U.S.A. 1969.

Dixon, Robert M. W. ;

32 What is Language, Britain, 1966.

Gleason, H. A. ;

33 An Introduction to Descriptive Linguistics U.S.A. 1961.

Lairo, Charlton ;

34 Thinking About Language N. Y. 1961